

أضواء البيان

@ 61 : { وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا } ، وقال الزمخشري في (الكشاف) :
والسبات : الموت ، والمسبوت : الميِّت ؛ لأنه مقطوع الحياة ، وهذا كقوله : { وَهَوَّاهُ
السَّيِّئُ يَتَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ } . .
فإن قلت : هل لا فسَّرته بالراحة ؟ .
قلت : النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد ، وهو مرنق ، اه محل الغرض منه . .
وإيضاح كلامه : أن النشور هو الحياة بعد الموت ، كما تقدم إيضاحه . وعليه فقوله : {
وَجَعَلَ النَّهَّارَ نُشُورًا } ، أي : حياة بعد الموت ، وعليه فالموت هو المعبَّر عنه
بالسبات في قوله : { وَالنَّوْمَ سُباتًا } ، وإطلاق الموت على النوم معروف في القرآن
العظيم ؛ كقوله تعالى : { وَهَوَّاهُ السَّيِّئُ يَتَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا
جَرَحْتُمْ بِالنَّهَّارِ ثُمَّ يَدْعُهُتْكُمْ فِيهِ } ، وقوله : { ثُمَّ يَدْعُهُتْكُمْ
فِيهِ } فيه دليل على ما ذكره الزمخشري ؛ لأن كلاً من البعث والنشور يطلق على الحياة
بعد الموت ؛ وكقوله تعالى : { اللَّيْلُ يَتَتَوَفَّاكَ الْإِنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَاللَّيْلُ
لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ اللَّيْلُ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ } ، وقال الجوهري في (صحاحه) : والمسبوت الميِّت والمغشى عليه
، اه . .
والذين قالوا : إن السبات في الآية الراحة بسبب النوم من تعب العمل بالنهار ، قالوا :
إن معنى قوله تعالى : { وَجَعَلَ النَّهَّارَ نُشُورًا } ، أنهم ينشرون فيه لمعايشهم ،
ومكاسبهم ، وأسبابهم . والظاهر أن هذا التفسير فيه حذف مضاف ، أو هو من النعت بالمصدر
، وهذا التفسير يدل عليه قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا النَّهَّارَ مَعَاشًا } ، وقوله
تعالى في (القصص) : { وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَّارَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } ، أي : لتسكنوا في الليل ،
ولتبتغوا من فضله بالنهار في السعي للمعاش . .
وإذا علمت هذا ، فاعلم أن ما دلَّت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في مواضع أخر
؛ كقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا *
وَجَعَلْنَا النَّهَّارَ مَعَاشًا } ، وقوله تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ
اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَّا هُوَ غَيْرُ
اللَّهُ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ فَلَاحٍ تَسْمَعُونَ } .

